



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة غرداية
مجلة إسهامات للبحوث والدراسات
E-ISSN. 2543- 3636 / P-ISSN. 2543- 3539
<http://ishamat.univ-ghardaia.dz/index>



نظرية الحتمية القيمية في البحوث الإعلامية

(قراءة في المفهوم والأسس)

نسبية فريجات/ كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة غرداية

nousafriidjet@yahoo.com

ليلى سليمان/ كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة غرداية

slimani.leila@univ-ghardaia.dz

الملخص:

إن تبني النظرية العلمية في أي مجال بحثي وفي أي تخصص علمي، يعد دليلا ومرشدا وضابطا للبحث وخطواته، ويعطيه الشرعية من خلال جعل الحقائق منطقية ومصاغة بشكل منظم وفي سياق مرتب.

يتميز حقل الإعلام والاتصال بوجود عدة اتجاهات نظيرية من قبل الباحثين والمتخصصين في وسائل الإعلام والاتصال وتأثيراتها المختلفة والظواهر المرتبطة بها، والتي من خلالها أسسوا للعلم انطلاقا من تلك النظريات، وهي في أغلبها محاولات غربية بحتة، من بيئة اجتماعية وثقافية مختلفة تماما عن بيئتنا العربية الإسلامية، وفي ظل ذلك ظهرت محاولات عربية رغم قلتها أبرزها نظرية الحتمية القيمية في الإعلام لصاحبها المفكر الجزائري عزي عبد الرحمان والتي تؤسس لإعلام قيمي وتستند لمنهجية واضحة وتقوم على جملة من المفاهيم والأسس.

وانطلاقا مما سبق تأتي هذه الورقة البحثية لاستقراء مفهوم هذه النظرية الإعلامية ومعرفة أهم ركائزها وأسسها والتحديات التي تواجهها.

الكلمات المفتاحية: النظرية – البحوث الإعلامية-نظرية الحتمية القيمية- الحتمية –القيمية.

Abstract:

The adoption of scientific theory in any field of research and in any scientific discipline is a guide, a guide and an officer of research and its steps, and gives it legitimacy by making facts logical and formulated in an orderly manner and in a structured context.

The field of information and communication is characterized by the existence of

several theoretical jurisprudence by researchers and specialists in the media and communication and its various effects and related phenomena, through which they founded science based on these theories, which are mostly purely Western attempts, from a social and cultural environment In this context, arab attempts have emerged, although the most prominent of these are the theory of value inevitability in the media, which is accompanied by the Algerian thinker Azi Abderrahmane, which is based on a clear methodology and is based on a number of concepts and foundations.

This research paper is based on the concept of this media theory and to know its most important pillars, foundations and challenges.

Keywords: Theory, Media Research, Value-Deterministic Theory, Determinism, Values.

مقدمة:

يعتبر مجال البحث في علوم الإعلام والاتصال من بين أهم المجالات البحثية الرائدة اليوم نظرا للعلاقة المتبادلة لعلوم الإعلام والاتصال وتقاطعها مع عدة مجالات علمية أخرى، وقد عرف هذا المجال ظهور عدة محاولات تنظير إلا أن أغلب السياقات الاجتماعية التي ظهرت فيها هذه النظريات الإعلامية سياقات غربية من مفكرين ومن بيئة تختلف عن البيئة العربية الإسلامية وتتناقى في كثير من الأحيان مع سياقاتنا، وتأتي نظرية الحتمية القيمية الإعلامية التي استند صاحبها الدكتور عزي عبد الرحمان في تأسيسه لها إلى الدراسات الغربية السابقة ومختلف المدارس كالبنوية والتفاعلية الرمزية والمدرسة النقدية، تأتي لتخطي هذا الخلل النظري وتقدم جملة المبادئ والأسس النظرية لدراسة أثر وسائل الإعلام عبر الرسالة الإعلامية وارتباطها بالقيم، والتركيز عليها كأساس في عملية البناء الإعلامي.

ورغم أن هذه النظرية تتوفر على مجموعة أسس منهجية وأساليب علمية وشروط بحثية تجعلها صالحة لتفسير الظواهر الإعلامية، ورغم تبيين جهود هذه النظرية من طرف عدة جهات وهيئات وباحثين، إلا أنها لم تخلو من بعض الانتقادات تمثلت في اعتبارها لا ترقى لأن تكون نظرية علمية، لوجود عدة نقائص بها كما أكد بعض الباحثين.

ومنه تهدف هذه الورقة البحثية إلى التعرف على هذه النظرية من خلال إبراز مفاهيمها واستعراض أسسها وركائزها وأهم الانتقادات الموجهة لها، وذلك وفق خطة منهجية تضمنت العناصر الآتية:

1. الإطار المفاهيمي للنظرية و البحث في علوم الإعلام والاتصال
2. نشأة نظرية الحتمية القيمية والتعريف بصاحبها.
3. ركائز النظرية وأسسها.

4. بعض الانتقادات الموجهة للنظرية.

أولاً: الإطار المفاهيمي للنظرية و البحث في علوم الإعلام والاتصال

تعرف النظرية من الناحية اللغوية بأنها لفظ مشتق من النظر الذي يحمل دلالة معنى التأمل العقلي، وفي الفرنسية تعني النظرية بناء أو نسق متدرج من الأفكار ويتم الانتقال فيه من المقدمات إلى النتائج¹،

أما اصطلاحاً فهناك عدة تعريفات أبانت عن مفهومها وفقاً لما يلي :

- النظرية هي محصلة دراسات ومشاهدات وصلت إلى مرحلة من مراحل التطور وضعت في إطار نظري وعملي وتحاول تفسيره².
- وتعرف أيضاً "أنها مجموع افتراضات بعضها ببعض تقدم وجهة نظر منتظمة حول ظاهرة معينة من خلال شرح العلاقة ما بين المفاهيم والأفكار المتعلقة بهذه الظاهرة"³.

مما سبق نستنتج أن النظرية هي بناء فكري مترابط قائم على تحليل وتفسير المعلومات والبيانات المرتبطة بالظواهر تحليلًا علميًا وتفسيرًا مجردًا، فالنظريات هي استنتاجات ومحصلة الأبحاث والدراسات العلمية.

كما يؤكد الباحثين على أهميتها حيث " تحتل «النظرية العلمية» مكانة متميزة في البحث العلمي بصفة عامة سواء أكان موضوع هذا البحث ظاهرة طبيعية أو ظاهرة إنسانية. ويعلق عليها نفر من الباحثين أهمية خاصة في تحديد «هوية» أي علم من العلوم حتى أن بعضاً من هؤلاء الباحثين يذهب إلى حد جعل دورها أكثر أهمية من دور المنهج العلمي على اعتبار أن المنهج العلمي شيء مشاع بين كل العلوم. أما نظرية أي «علم» كعلم النفس أو علم الاجتماع مثلاً- فهي التي تحدد موضوعه وتنظم عملياته وأدواره بل ومساره، هذا على خلاف المنهج العلمي* الذي يعد أساساً واحداً لكل العلوم"⁴.

أما عن نظريات الإعلام والاتصال، فقد كانت ولا تزال الظواهر الاتصالية محل جدل بين الباحثين والدارسين، وفي ذلك تقول مي عبد الله " أن المتابع للنتاج العلمي في نظريات الإعلام والاتصال لا يجد صعوبة في الوصول إلى نتيجة مفادها أن حقل الإعلام والاتصال لا يزال يفتقر إلى

¹ - منال هلال مزاهرة، نظريات الاتصال، ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2012، ص162.

² - بسام عبد الرحمان المشاقبة، نظريات الإعلام، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص79

³ - مي عبد الله، نظريات الاتصال، دار النهضة العربية، لبنان، ط2، 2010، ص15.

* **المنهج العلمي** : هو مجموعة القواعد المصوغة التي يعتمد عليها الباحث بغية الوصول إلى الحقيقة العلمية بشأن الظاهرة أو المشكلة موضوع الدراسة والتحليل. **للمزيد من التفاصيل أنظر** : عبد الناصر جندلي، تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص 12.

⁴ - عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص10.

نظريات علمية محددة تنطلق منها دراساته وتبنى على فرضياتها و أدبياتها، وما هو موجود من هذه النظريات في دراسات الإعلام والاتصال ومراجعته إنما هو من جهود غير المتخصصين فيه"¹، فهي ترجع ذلك إلى أن جل مؤسسي الدراسات والنظريات المعتمدة في علوم الإعلام والاتصال من تخصصات أخرى كعلم الاجتماع، علم النفس، العلوم السياسية وغيرها... حيث قام الباحثون في مجال علوم الإعلام والاتصال باختبار فروض هذه النظريات وتطويرها في الحقل الإعلامي والاتصالي .

و هذا ما يؤكد عليه الباحثين في تعريفهم للبحوث الإعلامية مشيرين إلى عدم استقلاليتها من العلوم الأخرى، وهو ما يرجعه المؤرخون إلى التخصصات العلمية التي كان ينحدر منها الآباء المؤسسين لعلوم الإعلام والاتصال، ورغم ذلك ظهرت الحاجة إلى القيام بمثل هذه البحوث الإعلامية "حيث تعتبر الحرب العالمية الأولى البداية الحقيقية لبحوث الإعلام بشكل علني عندما اكتشفت الدول الكبرى تأثير الإعلام خاصة ببريطانيا ،كسلاح للتأثير على عقول الجماهير عن طريق الدعاية المنظمة من خلال الإعلام الموجه"².

كما تعود الحاجة إلى البحوث الإعلامية إلى عدة أسباب أهمها³:

1. اهتمام الجمهور والحكومات بتأثير وسائل الإعلام.
2. فهم أنواع الاتصال ووسائله.
3. نمو تخصص الإعلام وتعدد مجالاته.
4. حاجة المعلنين للتعرف على الجمهور المستهدف وتحديد سبل الوصول إليهم.

حيث أعطت هذه العوامل دفعا قويا للبحوث الإعلامية وساهمت بشكل كبير في تطور مناهجها ونظرياتها، خصوصا بعد الانتقال من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث أو ما تم تسميته بالمجتمع الجماهيري نسبة إلى ما أحدثته وسائل الإعلام الجماهيرية من تغيرات واضحة وجلية في بنيته الاجتماعية والثقافية ،وكانت بذلك مرتعا خصبا لدراسات تأثير وسائل الإعلام على المجتمع .

" فالأبحاث الإعلامية هي الإطار الموضوعي، الذي يضم العمليات في الإعلام والاتصال الجماهيري، كما أنها تمثل الجهود المنظمة الدقيقة، التي تستهدف توفير البيانات والعمليات والنتائج الهامة والتفصيلية ،التي تستخدم كأساس في اتخاذ القرارات، وتخطيط الجهود الإعلامية، والاتصالية الفعالة ،كما أن مهمتها تبدأ قبل بداية الجهود الإعلامية، وتستمر هذه الجهود، وتقيس فعاليتها في كل خطوة ،أو موقف إعلامي، أو اتصالي قياسا مرحليا شاملا، كما أن خدماتها تشمل كافة العناصر

¹ - مي العبد الله، مرجع سبق ذكره، ص 63.

² - منال هلال مزاهرة ، بحوث الإعلام الأسس والمبادئ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن، 2010، ص 34.

³ - محمد عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الاعلامية ،عالم الكتاب، القاهرة، مصر، 2004، ص: 14-15.

الداخلية في العملية الاتصالية بطريقة متوازنة ومتكافئة"¹. يعطي هذا التعريف للأبحاث العلمية نظرة شاملة ووافية لها باعتبارها نشاط علمي يختص بدراسة الظواهر الاتصالية والإعلامية وارتباطاتها، فهي تحدث ضمن نسق اجتماعي تتفاعل معه وتؤثر وتتأثر به.

كما تكمن أهميتها في تخطيط الجهود الإعلامية، حيث تعد الدراسات القبلية للجُمهور عنصرا هاما في نجاح الرسائل الإعلامية؛ "ولعل إحدى المهام الأساسية لباحثي الاتصال هي تجميع تلك النتائج العلمية حول آثار وسائل الاتصال على المتعاملين معها، من قراء ومستمعين ومشاهدين، ومحاولة صياغة نظريات تساهم في فهم الظاهرة والتنبؤ بما يمكن أن تؤدي إليه من إيجابيات وسلبيات"².

كما أن ارتباط الظاهرة الاتصالية بالظواهر الاجتماعية، أعطى أهمية أكبر للبحوث الإعلامية خصوصا في ظل التأثير الجلي لوسائل الاتصال الجماهيرية ومقدرتها على تغيير البنى الاجتماعية للمجتمعات.

ثانيا: نشأة نظرية الحتمية القيمية و التعريف بصاحبها.

1. التعريف بصاحب النظرية :

عبد الرحمن عزي أكاديبي وباحث إعلامي جزائري، من مواليد 1954 بقرية بني ورثيلان (الجزائر) هذه المنطقة التي عرفت بالثورة وعدم قبول الأنماط والقوالب الجاهزة وترسيخ كروموزمات الحرية في أبنائها لتكون بمثابة البيئة الصغرى التي ترعرع فيها، وكان لها النبع التصوري اللاشعوري المستقبلي في نشأته الأولى"³.

" متحصل على شهادة الليسانس في الصحافة والإعلام من جامعة الجزائر عام 1977 وعلى شهادة الماجستير في الصحافة 1980 وعلى شهادة الدكتوراه في سوسيولوجيا الإعلامية عام 1985 من جامعة نورث تكساس بأمريكا، وقبل ذلك عمل الأستاذ محررا لتغطية الأخبار المحلية في جريدة الشعب اليومية الجزائرية لمدة سنتين.

وتتجاوز خبرته في التدريس والبحث والإشراف 24 سنة إذ عمل كمدرس لمدة ثلاث سنوات في جامعة نورث تكساس، ثم كأستاذ مساعد ، فأستاذ مشارك، فأستاذ لمدة 11 سنة بمعهد علوم الإعلام والاتصال بجامعة الجزائر ثم كأستاذ لمدة ثلاث سنوات بقسم الاتصال بالجامعة العالمية الإسلامية ماليزيا ثم كأستاذ بقسم الإعلام بجامعة الملك سعود لمدة أربع سنوات ، وأستاذ بقسم الاتصال الجماهيري بجامعة الإمارات العربية المتحدة لمدة أربع سنوات ثم أستاذ بكلية الاتصال

¹ - أحمد بن مرسل، مناهج البحث في علوم الإعلام والاتصال، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص39.

² - ليلى حسين السيد، حسن عماد مكاوي، الاتصال ونظرياته المعاصرة، ط10، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 2012، ص 16.

³ - ابتسام المباركي، نظرية الحتمية القيمية في الإعلام: قراءة تبسيطية لأهم افتراضاتها، مجلة الدراسات الإعلامية، المركز الديمقراطي العربي، العدد الثاني، أبريل، 2018، ص145.

بجامعة الشارقة منذ 2006".¹

2. نشأة النظرية :

إن نظرية الحتمية القيمية كما سماها الدكتور نصير بوعلي والذي أبرز أهميتها من خلال دراسة نقدية مقارنة بينها وبين نظرية الحتمية التكنولوجية لمرشال ماكلوهان* والتي تنم عن أهمية النظرية التي تركز على القيم الدينية و التراث الإسلامي، وبذلك فهي تصلح للدراسة في المجتمعات العربية ، لأن عدم مطابقة السياق الاجتماعي الذي أنتجت فيه النظريات الغربية للسياق الاجتماعي للمجتمعات العربية أحدث خلافاً واشكالا منهجيا في كيفية اختبار فروض هذه النظريات ومدى صحة نتائجها ؛ في ظل هذا الاختلاف في البنيات الاجتماعية .

وقد كان هذا المنطلق الأساس لنظرية الحتمية القيمية التي حاولت إيجاد تفسير لتأثير الرسائل الإعلامية وفق منظور يأخذ بعين الاعتبار خصوصية المجتمعات العربية وقيمها ؛ هذه الأخيرة التي اعتبرها المفكر عزي عبد الرحمان معيارا لتقييم الرسالة ، وهذا لم يأت من فراغ وإنما استند في دراساته على قيمه الدينية وثقافته العربية وانتمائه الحضاري الذي كان فيه متأثرا به .

وفي هذا السياق حدد د. نصير بوعلي الفروع المعرفية التي تشكل مرجعية فكرية للنص عند عزي عبد الرحمان وتصوغ إشكالية طرحه للظاهرة الإعلامية وهي² :

- التراث العربي الإسلامي.

- ابستمولوجيا علوم الإعلام والاتصال.

- الفكر الفلسفي والاجتماعي الغربي المعاصر في القرن العشرين متمثلا بالمدارس الاجتماعية (المدرسة البنيوية ، والمدرسة الظاهراتية، ومدرسة التفاعلات التأويلية النقدية).

- الفكر الإعلامي القيمي من خلال بعض الحفريات في الفكر الحضاري لمالك بن نبي، والتواصل القيمي في مذكرات الشيخ سيدي الحسين الورتلاني، والأخلاقيات الاعلامية في الرؤية النوارسية النورسية .

¹ - عبد الرزاق الدليبي ، نظريات الاتصال في القرن الحادي والعشرين، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن، 2016، ص318.

* - Nassir bouali , **Lectures sur la Théorie; Déterminisme de la Valeur Morale de L'information**, la bibliothèque iqraa, Constantine- Algérie, 2009

² - نصير بوعلي ، مفاهيم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام عند عبد الرحمان عزي - مقارنة نقدية <https://platform.almanhal.com/Files/2/77913> ، تاريخ زيارة الموقع 2019/12/12 على الساعة 23.00.

كما تتجلى أهمية الفكر الحضاري عند عزي عبد الرحمان في كتابه الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية، بعض الأبعاد الحضارية* والذي يتحدث فيه على منطلقات نظريته وارتباطاتها بالاتصال وتكييفها مع الواقع الجديد مرتكزا في ذلك على بعض الأبعاد الحضارية،

"ومنه فنظرية الحتمية القيمية تنطلق من افتراض أساسي يعتبر الإعلام رسالة وأهم معيار في تقييم الرسالة هو القيمة التي تنبع أساسا من المعتقد ولذلك فإن تأثير وسائل الإعلام يكون ايجابيا إذا كانت محتوياتها وثيقة الصلة بالقيم، وكلما كانت الوثائق أشد كان التأثير ايجابيا، وبالمقابل يكون التأثير سلبيا إذا كانت المحتويات لا تتقيد بأية قيمة أو تتناقض مع القيمة، وكلما كان الابتعاد عن القيمة أكبر كان التأثير السلبي أكثر"¹.

إضافة إلى ذلك تحفل نظرية عزي عبد الرحمان بعدد كبير من المفاهيم المترابطة إلى حد كبير في إطار رؤيته الأوسع حول الحتمية القيمية ودور النسق القيمي في الاتصال، ومن بين تلك المفاهيم ما يلي²:

- الحتمية: ويقصد بها اعتبار متغير واحد أساسا في تفسير وفهم أي ظاهرة حيث يرتبط المتغير بالقيمة والظاهرة بالإعلام والاتصال.
- القيمية: وهي معنوية ومصدرها الدين حي يسعى الإنسان إلى تجسيدها كلما ارتفع بفعله وعقله إلى منزلة أعلى.

ومن بين المفاهيم التي تحدث عنها عزي عبد الرحمان مع باحثين آخرين في كتاب ثورة الصورة ما يلي³:

- الإعلام: ويقصد به الرسالة ومحتوى وسائل الإعلام التقليدية والجديدة وتقوم مقارنة عبد الرحمان عزي على أولوية الثقافة في وسائل الإعلام.

* عبد الرحمان عزي، الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية، بعض الأبعاد الحضارية، دار الأمة، الجزائر، 1995.

¹ - عبد الرحمان عزي، دراسات في نظرية الاتصال، نحو فكر اعلامي متميز، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي، بيروت، ط1، 2003، ص122.

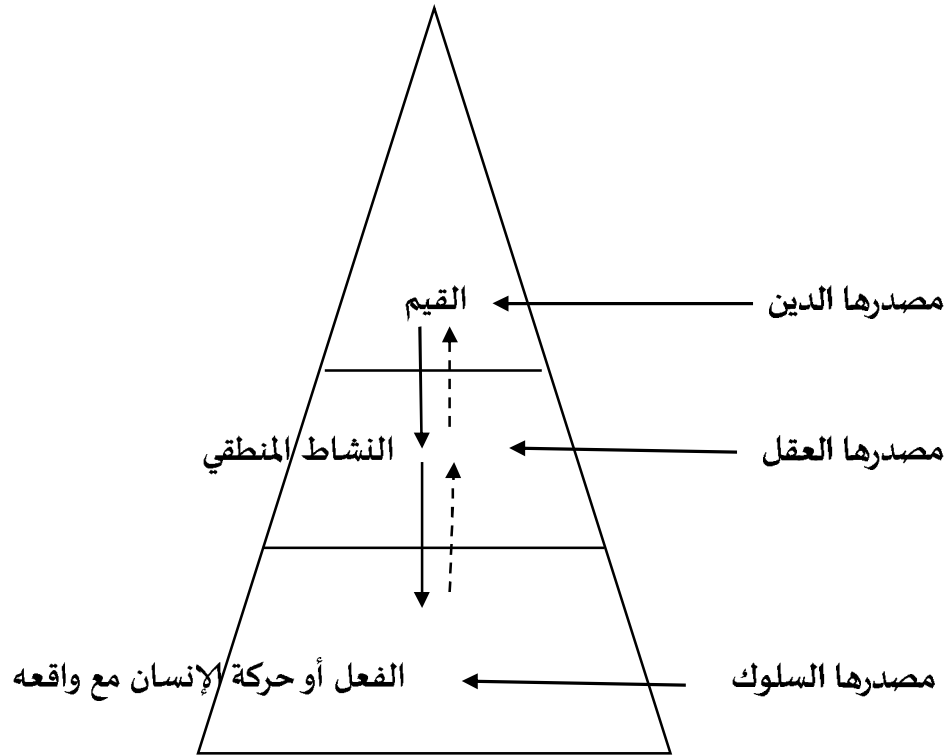
² - عبد الرحمان عزي، نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، الدار المتوسطة للنشر، ط1، تونس، سلسلة الدعوة إلى الفهم، 2011، ص11.

³ - عبد الرحمان عزي وآخرون، ثورة الصورة، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي (57)، بيروت، ط1، 2008، ص 95-102.

- الأنظمة المخيالية: وهي الأنظمة التي ينتجها الإنسان انطلاقاً أو ابتعاداً عن الخيال، وتكون أنظمة فرعية والإعلام كمحتوى ورسالة يعتبر إحدى هذه الأنظمة المخيالية.
- التمثيل: ما ينتجها الإنسان من أبنية إذا إرتبط بالأبنية الدينية (الخيال) كان موجبا، إذا ابتعد عنها كان سالبا.
- الرأسمال القيمي: يتعلق بقيم المجتمع ومعانيه الثقافية، التي تشكل هويته وانتماؤه إلى بيئة حضارية ذات أبعاد انسانية عالمية، وينتهي الرأسمال القيمي إلى مجال التدافع، الذي يتضمن الحراك الاجتماعي التاريخي في العلاقة القيمية والتضاد بين الخير والشر، سواء على مستوى القول الرمزي أو الفعل السلوك الفردي والاجتماعي ونظريا يكون الرأسمال القيمي المرجع في أداء كل من الرأسمال المادي والرأسمال الرمزي، فالترابط بين العناصر الثلاثة المكونة للرأسمال أساس البناء الحضاري.
- كما تضمنت كتابات عبد الرحمان عزي حول الإعلام وتفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية، قراءة معرفية في الرواسب الثقافية عدة مفاهيم أهمها¹:
- المخيال الإعلامي: حالة تتضمن المشاعر النفسية الاجتماعية والتي بفعل ما يتعرض له الجمهور العربي الإسلامي عامة من محتويات وسائل الاتصال، من جهة وبفعل ما يحمله هذا الجمهور من مخزون تراثي وأسطوري من جهة أخرى.
- الرأسمال الرمزي: يتعلق الرأسمال الرمزي بالإعلام عامة وبالفضائيات على وجه التحديد برمزيته وينتهي الرأسمال الرمزي إلى مجال الاستقطاب، أي أنه فضاء واسع برموزه، وتتداخل فيها الكثير من المصالح والاعتبارات، ويصعب تثبيته من دون البناء المستمر والمعاودة.
- المكان الإعلامي: يعتبر المكان الإعلامي ذلك الحيز الجغرافي البيئي الرمزي الذي تروج له وسائل الإعلام وتكنولوجيا الاتصال، حيث تعمل هذه الأخيرة على تكوين أنماط من الصور المكانية، التي تكون خارج دائرة الواقع المعيشي للفرد، فتدخل عليه مكانا رمزيا متباعدة ومألوفة مع كثرة الاعتماد على هذه التكنولوجيات، يقول عبد الرحمان عزي "أن كثرة استخدام وسائل الإعلام وتكنولوجيات الاتصال خاصة التلفزيون وشبكة الانترنت يؤدي إلى نوع من الاغتراب عن المكان المعيشي والتعلق بالمكان المألوف الجديد الذي تعرضه هذه التكنولوجيات كالأفلام والمسلسلات والإعلانات بصفة عامة.

¹ - عبد الرحمان عزي، الإعلام وتفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية- قراءة معرفية في الرواسب الثقافية، دار المتوسطة للنشر، تونس، 2009، ص 28.

- **الزمن الإعلامي:** يعتبر الزمن الإعلامي ظاهرة رمزية، فالفرد يتعامل مع محتويات وسائل الإعلام من خلال رمزية النص والصورة والفيديو، ويعني ذلك أنها ليست حقائق وإنما تعبير عن تلك الحقائق أي مستوى آخر من هذه الحقائق والمعبر عنها لغويا أو عن طريق الرموز أو الصورة.
- **الثقافة:** " تعرف وفق منظور الحتمية القيمية بأنها معاشية الواقع انطلاقا من القيم ، وهي عبارة عن سلم يتضمن أبعاد ثلاث وهي القيم ومصدرها الدين ، المنطق أو النشاط المنطقي ومصدر العقل والفعل أو حركة الإنسان مع واقعه ، وتمثل القيم المستوى الأعلى ثم يأتي العقل ليتعامل مع النشاط المنطقي كالفهم والادراك والتأويل، ويعتبر المحدد لنمط العلاقة مع القيم ، وتشكل القاعدة من سلوك الإنسان وفعله الذي يعتبر محصلة للترابط المنطقي بين الفهم وطرق الادراك والقيم والتأويل محددة لطبيعة الحضارة"¹، حيث يوضح الشكل التالي مفهوم الثقافة.



ثالثا : ركائز النظرية وأسسها:

تقوم نظرية الحتمية القيمية على ركائز مبدئية تتمثل حسب عبد الرحمن فيما يلي²:

¹ - عزي عبد الرحمن ، نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، مرجع سبق ذكره ، ص 23.

² - عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الاتصال، مرجع سبق ذكره، ص: 143-144 .

- أن يكون الاتصال نابعا ومنبثقا من الأبعاد الثقافية الحضارية التي ينتهي إليها المجتمع.
- أن يكون الاتصال تكامليا .
- أن يكون الاتصال قائما على مشاركة واعية من طرف الجمهور المستقبل لا أن يكون أحاديا متسلطا.
- أن يكون الاتصال دائما حاملا للقيم الثقافية والروحية التي تدفع الإنسان والمجتمع إلى الارتقاء والسمو.

كما استندت النظرية على منهجية واضحة وهي الرؤية القيمية وأدوات صالحة للدراسة زمانا ومكانا ومقياسا للقيم تمثل في مقياس (ع س ن) أو (NSA) هو أداة بحث انطلاقا من نظرية الحتمية القيمية في الإعلام وتخص دراسة أثر وسائل الإعلام التقليدية و الجديدة على قيم المجتمع بأبعادها "الإيمانية، الزمنية، اللسانية، النفسية، الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، التربوية، الجمالية، الإنسانية" على مستوى المواقف والسلوكيات اعتمادا على أساليب دراسة الجمهور وتحليل المضمون والمقابلة الحوارية والتأويلية، وتعني تسمية هذا المقياس (ع س ن) اختصارا أسماء الباحثين الذين حكموا وطوروا هذه الأداة، (ع/= عبد الرحمن عزي) جامعة الشارقة، (س/= السعيد بومعيرة) جامعة الجزائر، (ن/= نصير بوعلي) جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة¹.

وفي ذات السياق أشار نصير بوعلي لنظرية الحتمية القيمية في الإعلام كبنية تتضمن عناصر البناء التالية²:

- علوم الإعلام والاتصال كمادة خام.
- الفكر الاجتماعي المعاصر في القرن 20 كمادة مستوردة.
- التراث العربي الإسلامية على سبيل الاجتهاد وليس النقل كمادة محلية.
- القرآن الكريم بمثابة الاسمنت الذي يمسك النظرية بإحكام.

وإضافة إلى العناصر السالفة الذكر يضيف نصير بوعلي بعض المفاتيح الخاصة بالنظرية وهي³:

¹ - ابتسام المباركي، مرجع سبق ذكره ، ص144.

² - نصير بوعلي، مفاتيح نظرية الحتمية القيمية في الإعلام مقارنة بنيوية، مجلة كنوز الحكمة، العدد الثاني، 2009، ص 144-145.

³ - عبد الرزاق الدليبي، مرجع سبق ذكره، ص321.

1. أسبقية النظرية ككل على الأجزاء: فنظرية الحتمية القيمية في الإعلام هي الكل المركب من دراسات وأبحاث نظرية عبد الرحمان عزي ، ويستحيل فهمها ما لم يكن هناك إلمام بعدد معتبر من دراساته التي تزيد عن خمسين دراسة تنطلق كلها تقريبا من إشكالية واحدة وهي كيفية فهم الظاهرة الاتصالية والإعلامية فهما قيميا وحضاريا.

2. أسبقية العلاقة على الأجزاء أو القيمة المحددة لها: تتضح هذه النظرية أكثر عند امعاننا النظر في العلاقة التي تحكم دراسات عزي عبد الرحمان، لأن ذلك سيقود إلى التغلغل في الدواخل وتوليد المعاني العميقة للنظرية، وتعتبر القيمة هي الحلقة أو العلاقة بنيويا التي تمسك بأبحاث المفكر وتجعلها مساقطا لا تتحرك إلا ضمن دائرة النظرية.

3. إن عناصر نظرية الحتمية القيمية لا تحمل أي معنى إلا في إطار السياق العام؛ أي يجب استحضار العوامل الاجتماعية والثقافية والحضارية والتاريخية التي ساعدت على تبلور هذه النظرية.

كما تجدر الإشارة إلى أن نظرية الحتمية القيمية في الإعلام ليست هي ما اصطلح على تسميته "نظرية الإعلام الإسلامي" حيث يرى عبد الرحمن عزي في معرض إجابته عن أحد الأسئلة الموجهة إليه على أن الفرق بين الاتجاهين يكمن في¹:

أولا/ في المنهجية، فالإعلام الإسلامي يقوم على سرد النصوص بذاتها دون إتباع منهجية محددة في قراءة النص أو ربطه بواقع الظاهرة الإعلامية المعاصرة، وكان ذلك عاملا في وصول هذا الطرح إلى طريق شبه مسدود، حيث لم ينتج نصا معرفيا بارزا، وإنما توقف عند باب الوعي بالمشكلة. أما الحتمية القيمية في الإعلام فتوظف عدد من الأدوات المنهجية التي ولدتها النظريات الاجتماعية والاتصالية الحديثة في الغرب، فهي تسعى إلى التجديد في قراءة النصوص وربط ذلك بواقع الظاهرة الإعلامية القائمة في المنطقة العربية والإسلامية.

ثانيا/ أن تقليد الإعلام الإسلامي يكاد يقصي التجربة الغربية (الأكاديمية أو الممارسة في الميدان)، أما الحتمية القيمية فهي تتفاعل مع المعرفة الإعلامية الغربية بشقها وتحاول أن تطرح نفسها بوصفها صوت آخر يتعايش وينافس النظريات القائمة؛ أي أنها تسعى إلى تجاوز صفة المحلية إلى إيجاد مكان لها في التراث المعرفي الأكاديمي السائد لدينا وفي الغرب.

ثالثا/ أما بالنسبة للتسمية ذاتها، فالاستخدام اللفظي المباشر في القول "الإعلام الإسلامي" قد يوحي أن الأمر:

أ- خطاب أكثر منه علم.

¹ - باديس لونيس ، نظرية الحتمية القيمية في الإعلام نحو براديفم إعلامي متميز ، مجلة الدراسات الإعلامية القيمية المعاصرة ، العدد الرابع ، المجلد الأول ، 2012، ص 15-16.

ب-أنه أمر محلي ديني بحث كالقول "الإعلام المسيحي" مثلاً.

ج-أنه أمر مطلق ليس فيه مجال كبير للجدل والنقاش.

أما تعبير "الحتمية القيمية في الإعلام" فتحل هذه المعضلة إلى حد كبير، لأنه يجعلها جزء من اللغة الأكاديمية العلمية، وهي ليست محلية إذ ترى أن القيمة هي المحرك في التطور الحضاري لأي مجتمع. يضاف إلى ذلك أن الاستخدام اللفظي غير المباشر في الإشارة إلى "القيمة" يترك بعض المجال للخطأ المحتمل الذي ينسب في هذه الحالة إلى النظرية وليس إلى مصدر النظرية.

رابعاً/ أن تقليد "الإعلام الإسلامي" وبفعل التركيز على السرد النصي فحسب لم يحدث حالة من البحث العلمي التطبيقي المعتبر، ولعل نظرية الحتمية القيمية في الإعلام تدفع إلى هذا الاتجاه بالاستعانة بالأدوات المنهجية التي تطورت لظروف تاريخية في الغرب.

رابعاً : التحديات التي تواجه نظرية الحتمية القيمية:

في إطار إجابته عن أسئلة بعض الطلبة قال الدكتور عزي عبد الرحمان في موقعه الإلكتروني الخاص به ، أنه لم يتلق في الحقيقة نقداً كثيراً حول النظرية وإنما يمكن تقسيم ما يمكن اعتباره نقداً إلى صنفين¹:

أولاً: النقد من الخارج (من خارج النظرية) وهو من صنف "من جهل شيئاً عاداه" أي نقد ليس مبنيًا على قراءة تذكر لنصوص النظرية كالقول أن هذه ليست نظرية أو أن هذا الطرح غير مقبول أو غير مجدي أو غير ملائم أو لا أرغب فيه أو أكرهه وما شابه، وهذا النقد لا يحتاج إلى الرد لأن صاحبه يجهل الموضوع أو قد يحمل سوء نية مسبقة قائمة على الرفض من أجل الرفض أو عدم التسامح مع من يحمل أفكاراً مغايرة أو قد يكون بدوافع أيديولوجية أو تكون من حالة نفسية مرضية (بفتح الراء) وما شابه، الخ.

ثانياً: النقد من الداخل (من داخل النظرية) وهو من الذين قرأوا نصوص النظرية أو أغلبها و تبينت لهم جوانب قاصرة أو غير بينة في النظرية فكانت إسهاماتهم وتساؤلاتهم متميزة ومن زاوية أكاديمية بنائية إن صح هذا التعبير. ويدخل في ذلك ملاحظات "شفوية" أو "مكتوبة" من طرف باحثين وكتاب ونذكر من هذه الانتقادات:

- أن تسمية "الحتمية" جبرية وتقلل من حرية تناول المواضيع بكيفيات "مغايرة".

- أن النظرية معيارية بينما "العلم" يدرس الواقع دون غيره.

¹ - <https://sites.google.com/site/valuemediadeterminismtheory/questionsfromunivoflaghwat> تاريخ زيارة الموقع

- أن الواقع معقد ويصعب معالجته بمتغير واحد.

خاتمة

من خلال ما تم ذكره آنفا حول نظرية الحتمية القيمية ومركزاتها وأسسها وأهم التحديات التي تواجهها يمكن استخلاص النقاط التالية:

1. اعتبار نظرية الحتمية القيمية مخرجا أمثلا لما تتخبط فيه مختلف وسائل الإعلام من تمميع لأخلاق وقيم المجتمعات، فهي نظرية قائمة بذاتها صالحة لكل مكان وزمان لما تحمله من أسس قيمية، الأمر الذي أعطاها صبغة عالمية لما تتوفر عليه كذلك من أدوات منهجية علمية.
2. تعتبر نظرية الحتمية القيمية مجالا معرفيا يسهل تطبيقه في مجتمعات عربية تمثل فيها القيم الثقافية والدينية أحد أهم المحددات التي تقوم عليها المجتمعات، وهو ما يجعل منها نظرية مناسبة للدراسات الإعلامية في المجتمعات العربية. وهذا ما يشير إليه بعض الباحثين في مقالاتهم حول النظرية أنه يتوجب على الدارسين والباحثين العرب تطبيقها وممارستها على أرض الواقع واختبار فروضها واستنباط مدلولاتها، عوض الانشغال بنقدها وتقييمها نظريا فقط.
3. رغم ما حظيت به نظرية الحتمية القيمية من اهتمام لدى الباحثين سواء الغربيين أو الباحثين العرب، غير أنها لا تزال بحاجة لكثير من الدراسات الامبريقية التي تختبر افتراضاتها على الواقع وتثبت أهمية الاعتماد عليها كنظرية إعلامية تدرس تأثير وسائل الإعلام على المجتمع.

قائمة المراجع

الكتب :

1. أحمد بن مرسل، مناهج البحث في علوم الإعلام والاتصال، ط03، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
2. بسام عبد الرحمان المشاقبة، نظريات الإعلام، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2011.
3. عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، عالم المعرفة، الكويت، 1998.
4. عبد الرزاق الدليمي، نظريات الاتصال في القرن الحادي والعشرين، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2016.
5. عبد الرحمان عزي، الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية، بعض الأبعاد الحضارية، دار الأمة، الجزائر، 1995.

6. عبد الرحمان عزي، دراسات في نظرية الاتصال، نحو فكر اعلامي متميز، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي، بيروت، ط1، 2003.
7. عبد الرحمان عزي ، نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، الدار المتوسطة للنشر، ط1، تونس، سلسلة الدعوة إلى الفهم، 2011.
8. عبد الرحمان عزي وآخرون، ثورة الصورة، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي (57)، بيروت، ط1، 2008.
9. عبد الرحمان عزي ،الإعلام وتفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية- قراءة معرفية في الرواسب الثقافية، دار المتوسطة للنشر، تونس، 2009.
10. عبد الناصر جندلي ،تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2005.
11. محمد عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الاعلامية ،عالم الكتاب، القاهرة، مصر، 2004.
12. منال هلال مزاهرة، نظريات الاتصال، ط02، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ،عمان، الأردن، 2012.
13. منال هلال مزاهرة ، بحوث الإعلام الأسس والمبادئ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ،عمان، الأردن، 2010.
14. مي العبد الله، نظريات الاتصال ،دار النهضة العربية، لبنان، ط2، 2010.
15. ليلى حسين السيد، حسن عماد مكاوي، الاتصال ونظرياته المعاصرة، ط10، الدار المصرية اللبنانية، مصر ، 2012.

16. Nassir bouali , **Lectures sur la Théorie; Déterminisme de la Valeur Morale de L'information**, la bibliothèque iqraa, Constantine- Algérie, 2009

المجلات العلمية :

1. ابتسام المباركي، نظرية الحتمية القيمية في الإعلام: قراءة تبسيطية لأهم افتراضاتها، مجلة الدراسات الإعلامية ، المركز الديمقراطي العربي ، العدد الثاني ،أفريل، 2018.
2. -باديس لونيس ، نظرية الحتمية القيمية في الإعلام نحو براديغم إعلامي متميز ، مجلة الدراسات الإعلامية القيمية المعاصرة ، العدد الرابع ، المجلد الأول ، 2012.
3. نصير بوعلي، مفاتيح نظرية الحتمية القيمية في الإعلام مقارنة بنيوية، مجلة كنوز الحكمة، العدد الثاني، 2009، ص. 145-144.

مواقع الأنترنت

1. نصير بوعلي ، مفاهيم نظرية الحتمية القيمية في الإعلام عند عبد الرحمان عزي – مقارنة نقدية ، تاريخ زيارة الموقع 2019/12/12 على الساعة <https://platform.almanhal.com/Files/2/77913> 23.0
2. <https://sites.google.com/site/valuemediadeterminismtheory/questionsfromunivoflaghwat> تاريخ زيارة الموقع 2019/12/12 على الساعة 23.30